

آيات الجعل في سورة النبأ : دراسة تفسيرية

م.م/ حسنين علاء كريم

(تدريسي بكلية التربية _ جامعة الكوفة _ العراق)

تاريخ النشر: نُشر إلكترونياً بتاريخ ١ يوليو ٢٠٢٦ م

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى دراسة آيات الجعل في سورة النبأ دراسةً تفسيريةً موضوعيةً، من خلال بيان الخصائص العامة للسورة، والتعريف بمكيتها، وأسباب نزولها، وفضل تلاوتها، مع توضيح مفهوم التفسير والمفاهيم المتصلة به. ويركز البحث على تحليل دلالات آيات الجعل في ضوء السياق القرآني العام والخاص، مع اعتماد المنهج التفسيري القائم على الربط بين الآيات السابقة واللاحقة لاستجلاء تمام المعنى وإبراز المقاصد القرآنية. كما يقارن بين مواضع الجعل في السورة ونظائرها في القرآن الكريم للكشف عن الفروق الدلالية والوظيفية، وبيان الحكمة من تنوع الاستعمال القرآني. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مستندةً إلى كتب التفسير المعتمدة والمصادر اللغوية، وانتهت إلى أن فهم آيات الجعل لا يكتمل إلا من خلال مراعاة السياق القرآني ووحدة الخطاب، وأن التنوع في استعمال مادة "الجعل" يعكس دقة التعبير القرآني وثراء دلالاته التشريعية والبلاغية والتفسيرية، بما يسهم في تعميق الفهم العلمي للنص القرآني.

الكلمات المفتاحية:

(سورة النبأ، آيات الجعل، التفسير الموضوعي، السياق القرآني، الدلالة القرآنية)

Abstract:

This study aims to provide a thematic exegetical analysis of the verses of Ja'1 (making/appointing) in Surat An-Naba by introducing the chapter in terms of its Meccan classification, reasons for revelation, virtues of its recitation, and the concept of Qur'anic interpretation along with related terminologies. The research focuses on analyzing the semantic dimensions of the verses of Ja'1 within their general and specific Qur'anic contexts, adopting a contextual exegetical approach that examines preceding and succeeding verses to reveal the intended meanings and objectives. It also compares the occurrences of Ja'1 in the chapter with parallel usages elsewhere in the Qur'an to identify their semantic distinctions and rhetorical purposes. The study employs a descriptive and analytical methodology based on classical Qur'anic exegesis and

linguistic sources. It concludes that understanding the verses of Ja'1 requires careful consideration of the Qur'anic context and textual coherence, and that the diversity of the Qur'anic usage of the term reflects the precision, richness, and depth of Qur'anic expression, thereby contributing to a deeper scholarly understanding of the Qur'anic text.

Keywords:

(Surat An-Naba, Verses of Ja'1, Thematic Exegesis, Qur'anic Context, Qur'anic Semantics)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين , بارئ الخلاق أجمعين , باعث الانبياء , والمرسلين , ثم الصلاة , والسلام على من بعث رحمة للعالمين , وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الاخيار المنتجبين , و من اتبعهم ووالاهم بإحسان الى قيام يوم الدين .
أما بعد ...

يبقى القرآن الكريم في طبيعته غضا وطريا ، اذ تتجلى فيه معالم الربوبية لأنه كلامه تعالى ، الذي هو اول الحجج التشريعية في المنظومة الاسلامية وقد حوى القيم الاخلاقية العليا الداعية الى الكمال أو التسامي في أعلى مراحل الخلق الفاضل وتضمن التشريعات العامة الداعية الى إصلاح الانسان واستقامته لو سار على سيره ، واختار الطريق وفق منهجه الذي أراده الله عزوجل للبشرية أجمع فاستدعت حكمة الباري عز وجل الى تأسيس قوانين ونظم ذات ابعاد مختلفة يقتضيها طبع الانسان في مسيرته العملية فكان القرآن الكريم , فضلا عن هذا تجد أن ما فيه من بلاغة رفيعة أعلى من بلاغة العرب لأنه جاء في خطاب بألفاظ متقنة وباستعمال هادف في ايصال معانيه وهذين الامرين قد جلبا عناية الدارس وقد شغل اهتمام الباحثين والمتخصصين في فن الاسلوب والاستخدام الذي يكون لفظيا وحرфия ودلالة سياق الأي حتى انهم اسسوا عليه نظريات وأقاموا عليها دراسات كانت للإنتاج المعرفي روعة ودهشة لما في القرآن من مداليل بعيدة لتتحقق عالمية دلالاته ومما يتميز به القرآن العظيم حيث يدل على علومه بنفسه وفيه المحكم والمتشابه , والمطلق والمقيد , والعام والخاص , والمجمل والمبين والمفسر والتفسير ورغم ذلك تجده يكشف اللثام عن غرائب الاستعمال ودقيق الايصال ليشير بدوره الى جملة المعاني ومن ثم المعنى المطلوب ، ومن اهميته البالغة انبرى لتفسيره غير واحد من أهل الاختصاص والفن في هذا المجال فجاء بيان بطرق شتى ومناهج مختلفة فضلا عن اتجاهات كل مفسر ومن هنا جاء عنوان البحث الموسوم بـ(آيات الجعل في سورة النبأ دراسة تفسيرية) فهذا الثقل الاول والمصدر الاساس الذي قامت عليه معارف وعلوم اخبر الله بها بني البشر لإيصال وتبليغ الحجة حتى لا تكون لهم حجة ومعذرية كإخبارهم بالبعث والنشور , والجنة والنار, ومن هنا تحاول دراستنا تعريفا بسورة النبأ من حيث مكيها ومدنيها , وأسباب نزولها ، وفضل تلاوتها فضلا عن مفهوم التفسير والمفاهيم ذات العلاقة , فهذه الدراسة تبين مداليل الخطاب المختلف الذي جاء في سورة النبأ والسياق العام ، والخاص لها ثم تفسر آيات الجعل بطريقة تنظر فيها الى ما قبلها وما بعدها من السياق ليتم كشف تمام المعنى ثم تحاول مقارنة آيات الجعل في نفس السورة بغيرها ليتم ضبط الاستخدام والغرض التي جاءت به هذه الآيات ومن هنا تبرز اهمية الموضوع من اهتمام القرآن الكريم وعنايته باستخدام مواده ليتم الكلم مستعينا بالمصنفات التفسيرية التي توضح المعنى وتكشفه وصولا بالدراسة الى ما هو مطلوب منها فهذا من ناحية ، ولجمع هذه الدراسة في بحث واحد مستقل من ناحية أخرى, تناولت الدراسة هذه المواضيع ودرستها دراسة موضوعية وصفية ليتم عرضها كموضوع واحد ومن ثم كانت الدراسة ذات اسس منهجية اعتمدت كتب التفسير فضلا عن اللغة وما يتعلق بهما وقد تنوعت المصادر والمراجع ليضيف بيانا شاملا للمكتبة الاسلامية ان شاء الله تعالى وقد سلطت الضوء على آيات الجعل في سورة النبأ والهدف العام والخاص لها وحاول البحث تفسير آياتها من كتب التفسير وقد كان من طبيعة البحث ان ينتظم على مبحثين تمثل المحاور الرئيسية للبحث وخاتمة :

المبحث الاول : أسباب نزول سورة النبأ وفضلها
المبحث الثاني: البعد اللغوي والجانب التفسيري لآيات الجعل
الخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث
المبحث الاول: (أسباب نزول سورة النبأ وفضلها)
المطلب الاول: سبب نزول السورة ومكانها :

١- سبب نزول سورة النبأ :

إن رسول الله كان إذا حدث قریشا وعرفهم أخبار الأمم السابقة ووعظهم كانوا يهزؤون بذلك فنهاه الله تعالى أن يحدثهم فقال تعالى : ((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ))^(١) ، فكان رسول الله (ص) يحدث أصحابه فإذا أقبل واحد من المشركين أمسك فاجتمعوا على بكرة أبيهم وقالوا : والله يا محمد إن حديثك عجب وما كنا نشتهي أن نسمع كلامك وحديثك فقال (ص) : إن ربّ نهاني أن أحدثكم فأنزل الله تعالى (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) ^(٢).

وأورد الطبرسي سببا للنزول فقال : ((لما بعث النبي الأكرم وأخبرهم بتوحيد الله تعالى وبالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم أي يسأل بعضهم بعضا على طريق الإنكار والتعجب فيقولون ماذا جاء محمد وما الذي أتى به فأنزل الله تعالى سورة النبأ))^(٣)

٢- مكان نزول السورة وآياتها ومضامينها

إذا اتضحت معالم وخصائص السورة المكية والمدنية تتضح ويزال النقاب ، وينكشف الغموض ، ويرفع الستار للإفصاح عن مكان السورة ، والآيات إذ إن المتتبع للسور المكية يجد ان مواضعها تؤكد على المبدأ والمعاد والبشارة والانذار واسلوب الإشارة في الحديث وكونها تتعامل مع الاوتار الموقظة للضمير الانساني وتمتاز معظم آياتها بقصر العبارة المتضمنة لإشارات جمة حيث تبت الحياة في الاجزاء الخالية من الروح وتنقلها من عالم الغفلة واللامبالاة الى عالم الشعور بالمسؤولية الملقاة على العواتق والى البناء الجاد الملتزم للشخصية الانسانية الحقة فلاياتها عالما خاصا مليء بالتفاعلات الحركية وسورة النبأ لا تشذ عن الاطار العام لطبيعة السور المكية حيث تستهل السورة بسؤال يستوقف الانسان وتختتم بجملة زاخرة بالصبر حتى يمكننا تلخيص محتوى السورة بأنها تضمنت السؤال عن (النبأ العظيم) وهو يوم القيامة كحدث بالغ الخطورة والاستدلال على امكانية المعاد والقيامة من خلال الاستدلال بمظاهر القدرة الالهية في السماء والارض وفي الحياة الانسانية والنعم الربانية وبيان بعض علامات بدء البعث وتصوير جوانب من عذاب الطغاة الاليم والتشويق للجنة بوصف اجوائها الفياضة بالنعم وتختتم السورة بالإنذار الشديد من عذاب قريب بالإضافة لتطويع حال الذين كفروا^(٤) ، وقد ورد في تفسير القمي ما نصه : (سورة النبأ مكية آياتها احدى واربعون)^(٥) ، وهناك اكثر من شاهد يشهد على مكيتها فقد صرح صاحب التبيان بذلك فقال: (سورة النبأ مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي اربعون آية في الكوفي ,واحدى وأربعون آية في البصري)^(٦) ،

١- سورة النساء : ١٣٩ .

٢- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) ، (ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ١٤٠٩ هـ) ١٠ / ٢٣٨ .

٣ مجمع البيان في تفسير القرآن : أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) ، (ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت : ١٤١٥ هـ) ١٠ / ٦٣٩ .

٤ ينظر: مجمع البيان : الطبرسي، ١٠ / ٢٣٧ .

٥: تفسير القمي : علي بن ابراهيم القمي (ت: ٣٢٩ هـ) ، (ط ٣ ، دار الكتاب ، قم : ١٤٠٤ هـ) ٢ / ٤٠١ .

٦ تفسير التبيان: الطوسي ، ١٠ / ٢٣٧ .

وإلى ذلك أشار في أول كلامه عند تفسير سورة النبأ صاحب الكشاف فقال: (سورة النبأ مكية وهي أربعون آية)^(٧) ، وذكر السيد الطباطبائي في تفسيره ما نصه (والسورة مكية بشهادة سياق آياتها)^(٨)
المطلب الثاني : أسماء السورة وفضل تلاوتها:

١- أسماء السورة :

لسورة النبأ تسميات ذكرها المفسرون فقد ذكر الطبرسي ما نصه (تسمى سورة النبأ وسورة المعصرات ومنهم من يقول :سورة التساؤل وهي مكية)^(٩)
كما اضاف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره مقولة : (ويطلق عليها سورة عمّ نسبة الى أول كلمة وردت في السورة بعد البسملة)^(١٠)

٢- فضل تلاوة سورة النبأ:

عن الامام الصادق(ع) قال (من قرأها لم تخرج سنته اذا كان يدمنها في كل يوم حتى يزور البيت الحرام)^(١١) ، وفي حديث ابي بن كعب عن النبي (ص) (من قرأ سورة عم يتساءلون سقاها الله برد الشراب يوم القيامة)^(١٢) وقد رواه الزمخشري مرسلًا.

وقد روى صاحب تفسير البرهان عن رسول الله (ص) أنه قال: (من قرأ عم يتساءلون كان حسابه يوم القيامة مقدار صلاة واحدة ، ومن كتبها وعلقها عليه لم يقربه قمل ، وزادت فيه قوة وهيبة عظيمة)^(١٣)

٣- اهم المضامين فيها :

الحقائق الكبرى تحيط بلب البشر احاطة السوار بالمعصم كلما اراد منها قروبا وجدها امامه ولا ريب ان النشور للحساب والولاية من تلك الحقائق على الرغم من محاولات الفرار منها تراهم يتساءلون عنها لأنها النبأ العظيم وبعد هذه الفاتحة الصاعقة تمضي السور لتذكر بآيات الله في الخليقة التي تهدينا الى انه عليم حكيم بل جعل في ذات الاسلام ما يدل على بديع الصنع وبالغ الحكمة ترى ان سورة النبأ جاءت وهي تحمل في ثناياها معان جلية وحقائق عزيزة باعثة على التساؤل والحيرة فيورد لنفس التساؤل جل جلاله استدلالات على قدرته في نظام الخلق المرتب من اجزاء عظيمة تدل على ان وراءها قدرة عظمى توصل المشكك الى اليقين على ان هناك بعث ونشور والسورة تختم بتصوير يشدذ الهمم من العمل ويحفز النفس على التقوى ويبصر القلب بما هو ات ومقبل عليه الا وهو مشهد من مشاهد القيامة حيث يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون ويذكرنا بان فرصة الاختيار السليم لاتزال قائمة فقد انذرنا عذابا قريبا يوم يرى المرء التي قدمها متجسدة امامه اما المؤمن فيفرح بها واما الكافر فيقول ياليتني كنت ترابا ولم اقدم مثل هذه الاعمال او اتحمل تلك المسؤوليات^(١٤)

المطلب الثالث : التفسير في اللغة والاصطلاح:

١- التفسير في اللغة :

الكشاف : الزمخشري , ٢/٢٠٦ .

الميزان : الطباطبائي, ٢٠/١٣٩ .

مجمع البيان : الطبرسي ، ١٠/٦٤٠ .

الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي , (مؤسسة التراث الاسلامي, قم) ١٩/٣١٨ .

ثواب الاعمال وعقاب الاعمال : الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي , (ت ٣٨١هـ) , (ط ٢) منشورات

الرضي, قم ١٣٦٨هـ) ١٤٩ .

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت : ٥٣٨هـ)

، (الطبعة الأخيرة ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر : ١٣٨٥هـ) ٤/٦٩٢ .

البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم البحراني(مؤسسة الاعلمي, بيروت/١٤٢٧هـ) ٤/١٩٤ .

١- ينظر: نظرية المعنى في النقد العربي : دكتور مصطفى ناصف , (دار الاندلس ,بيروت)، ظ: دلائل الاعجاز :

عبد القاهر الجرجاني (ت ١٨٠هـ) , (مكتبة الخانجي, مطبعة المدني) ١٠٨-١٠٩ .

التفسير في اللغة يخضع الى طائفتين من الآراء نظرا لمادتها فتارة تكون مأخوذة من السفر, او مشتق من السفر , فعلى الاول تعنى باللفظ نفسه وكون جذره الفسر وتتفرع عن هذا أقوال ثلاثة , الاول: الفسر مصدرا وهو الابانة وكشف المغطى , والفعل منه كضرب فنقول فسر الشيء يفسره بالكسر, ويفسر بالضم فسراً بمعنى ابانة^(١٥) , والى هذا مال الخليل بن احمد الفراهيدي والتفسير عنده من الفسر وهو البيان : بيان وتفصيل الكتاب^(١٦) , والثاني: يرى ابن الانباري ان الكلمة من قول العرب فسرت الدابة وفسرتها اذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو من يؤول في الكشف^(١٧) ويرى الزركشي وتابعة السيوطي ان الفسر مأخوذ من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الاطباء فيكتشفون به المرض فكما ان الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك يكشف المفسر عن شأن الآية وقصصها ومعناها^(١٨) فالدلالة عند هؤلاء تنحصر في اللفظ نفسه دون اشتقاق من جذر اخر, وهو اساس من الفسر , وهو البيان , او من الفسر للدابة اذا اطلقت حصرها في كشف الامر الحي للدلالة على امر معنوي او من التفسرة وهي الكشف والمعرفة بالشيء وعلى القول بالثاني وهو مشتق من السفر , ترى هذه الطائفة ان التفسير تفعيل مقلوب الجذر عن (السفر) فيقال سفرة المراعاة سفورا اذا اقلت خمارها عن وجهها فهي سافرة^(١٩) قال الراغب الاصفهاني في ابرز الفسر والسفر يتقارب معناها كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول وجعل السفر لإبراز الاعيان للإبصار فليل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح^(٢٠)

٢ - التفسير في الاصطلاح :

لتعريف التفسير طوائف ثلاثة؛ الاولى : تتوسع به ليكون شاملا لكل علوم القرآن, والثاني : يقتصر به على الدلالة الموضوعية لألفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها, والثالثة تعود به الى جملة ما في القرآن من مراد الله تعالى .

الطائفة الاولى يمثلها الشيخ الطوسي ويتابعه الزركشي قال الشيخ الطوسي : علم معاني القرآن , وفنون اغراضه من القراءة والمعاني والاعراب والكلام علم المتشابه والجواب عن مطاعن الملحد وفيه انواع المبطلين^(٢١) والزركشي عنده التفسير في الاصطلاح : هو علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها والاسباب النازلة فيها , ثم الترتيب مكيا ومدنيها محكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها خاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومحملها ومبنيها مجملها ومفسرها^(٢٢)

١- لسان العرب: جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري (ت ٧١١), (نشر أدب الحوزة : قم : ١٤٠٥ هـ) ٣٦١/٦ .

٢- العين : لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(ت ١٧٥), (ط ٢ / دار الهجرة ، ايران : ١٤٠٩ هـ) ٢٤٧/٧ .

٣- ينظر : الانصاف في مسائل الخلاف : ابو البركات بن الانباري : ص ١٤٦ .

٤- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت : ٧٩٤ هـ) ، (دار إحياء الكتب الدينية ، القاهرة : ١٩٥٧ م) ١٤٧/٢ ، ظ : الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١ هـ) ، (مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة : ١٩٦٧ م) ١٦٧/٤ .

٥- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤), دار احياء الكتب الدينية , القاهرة ١٩٥٧ م, ١٤٧/٢ .

١- المفردات : الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) ، (مطبعة مصطفى

البابي ٢ ، القاهرة : ١٩١١ م) ١٤٨/٢ .

٢- التبيان : الشيخ الطوسي , (٢/١-٣) .

٣- البرهان : الزركشي, ١٤٨/٢ .

الطائفة الثانية : هذه الطائفة تلخص كلامها ابو حيان الاندلسي إذ قال التفسير علم يبحث فيه من كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيه التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمالك لذلك^(٢٣) الطائفة الثالثة : ويمثلها الطبرسي الذي بدوره اجمل القول من التفسير بقوله : (التفسير كشف.. المراد عن اللفظ المشكل)^(٢٤).

ولدى مقارنة اقوال المفسرين في مختلف العصور تبدو الحصلة العلمية واحدة من التفسير وهي بيان مراد الله تعالى من قوله في كتابه الكريم وهنا يلتقي المعنى الاصطلاحي للتفسير بالمعنى اللغوي وهو ارادة الكشف والبيان وهذا يبتني ان المفهوم الاصطلاحي ينحدر عن الاصل اللغوي له .
المبحث الثاني:(البعد اللغوي والجانب التفسيري لآيات الجعل)
المطلب الاول : الاستعمال اللغوي والقرآني للفعل(جعل) :
١- بعد الفعل (جعل) لغة :

اذا رجع كل من يبحث عن معان جعل في المعاجم اللغوية سوف لا يجد فيها ما يقف على معنى واحد لأنها كثيرة بل متكررة في سياق النثر والنظم على حد سواء أثرت هذه المعاني الموضوعية في مادة (جعل) على ما تدخل عليه تأثيرا بالغا اذ أنها تحمل معنى في جملة الكلام لا يمكن قياسه على كلام اخر مالم تستقرأ السياق بشكل خاص ومعنى جعل نظرا لدخولها على السياق بحيث يناسبه بشكل اخص ومن هنا يلحظ البحث اختلاف اهل التفسير في معان جعل نظرا لاشتمالها على اكثر من معنى وهذا ما يعطي للفظ قوتها من بين اخواتها لان كل هذه المعاني حقيقية لا تحتل التأويل وان كان هناك معنى يستقر عليه اللفظ الا انه لا ينفي بقية ما تحتمله هذه اللفظة من المعاني وقد رصد البحث اهم المعاني للفعل(جعل) منها : الصنع والتصيير, والشرط, والخلق, والانشاء, والتبديل, والحكم الشرعي, والترك, والشروع, ومعنى الالقاء ومعنى التعيين^(٢٥).

٢- بُد القرآن للفعل (جعل)

ضل الاستعمال القرآني موضع عناية الدارسين قديما وحديثا لما وجدوا فيه من اسرار خفية لم يوقف على مثلها ففي النصوص الادبية وان سمت الى اعلى مراتب الابداع وقد استوقفت كثيرا من المفسرين والبلاغيين فراخوا يبحثون عن اسبابها لتكون قابلة للإدراك فيزداد متذوقها يقينا باعجاز النص القرآني وبانه من لدن عزيز حكيم من حيث العملية التكوينية التي تتبدى من اختيار المفردات بمراعاة السياق بنوعية اللغوي الذي ترد فيه المفردة المختارة وسياق الحال او المقام الذي يؤثر في طريقة الخطاب من حيث هي اداة من ادوات التواصل الذي يحتاج الى تناسب بين الملفوظ والموقف وعلى هذا يمكن ان ترى ان الفعل جعل لا يمكن ان نعده حركيا والا لما احتمل التضمين لأفعال ومعان اخرى ذلك ان معنى الكلمة في التركيب هو محصلة علاقتها بالكلمات الاخرى وبناء على ما تقدم يمكن القول بان الاستعمال القرآني يراعي السياق الذي دخلت عليه لفظة (جعل) ثم يحمل هذه اللفظة معنى يتناسب مع الرأي تناسبيا وهو نظير التناسب الحاصل بين الموضوع والحكم وكل تضمين او اشراب او تأويل لمعنى الموضوع يكون بحسب ما تدخل عليه لفظة (جعل) وستأتي شذرات نحوية لمعنى الفعل (جعل) تؤيد ما ذكرناه هنا ان شاء الله^(٢٦).

٤- ينظر : البرهان : الزركشي, ١٤٨ / ٢.

مجمع البيان : الطبرسي ، ١٢-١٣. ٢٤

١- ينظر : العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ١ / ٢٩٩ ، ظ: مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥) ، (مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، قم : ١٤٠٤هـ) / ١ ، ٤٦٠ ، ظ: لسان العرب : ابن منظور ، ٦ / ٢٢٢ .

١- ينظر: نظرية المعنى في النقد العربي: د. مصطفى ناصف، (دار الاندلس، بيروت) ١٢، ظ: دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت١٨٠هـ) ، (مكتبة الخانجي، مطبعة المدني) ١٠٨-١٠٩.

المطلب الثاني : الجانب التفسيري لآيات الجعل في سورة النبأ

ان سورة النبأ تبين عن ما اختلفوا فيه ، وهو النبأ العظيم ، وكان سياق الآية بعد ذلك اخبارا من المولى بأنهم سيعلمون ثم جاءت آيات الجعل استدلالا على قدرته سبحانه وتعالى قياسا على ان القادر على جعل الارض فراشا والسماء بناء... الخ قادر على البعث والنشور مادام انه جل جلاله موصوف بالقدرة ويرى البحث ان الآيات الشريقات المسوقات على دلالة قدرة الله سبحانه وقد دخل الفعل (جعل) ليدل بعد ذلك على معنى الخلق والانشاء مرة وعلى التصيير والتعيين مرة اخرى وبذلك تقترب آيات الجعل الموضوع في سورة النبأ الى المعنى اللغوي المستفاد من لفظة جعل ومثال ذلك قال تعالى: (الم نجعل الارض مهادا)^(٢٧) هذه الجملة قاعدية الأصل , التي فيها المفعولان اشياء محسوسة ليس فيها مشكلة لوضوحها^(٢٨) , نلاحظ أن المفعول الثاني لـ(جعل) هو (مهادا) والمهاد هو الفراش اي جعلها منبسطة وطرفا المعادلة محسوسان وهما يؤلفان الارض يساوي مهادا وقد جاء الفعل (جعل) ليغير حكم الطرفين المبتدأ والخبر الى مفعول أول ومفعول ثاني وبهذا ادى الفعل وظيفته نحوية شكلية النصب في كلا الطرفين وادى وظيفته معنوية تصيير الاول الى الثاني وعلى هذا تجري كل الآيات الموضوع في سورة النبأ ولكن مع قياس الجعل بلحاظ السور الأخرى نجده يختلف اختلافا من حيث المعطيات فالوضوح في آيات الجعل في سورة النبأ غير الآيات الأخرى من بقية السور التي يقل حتى يصبح كشفه بحاجة الى تأمل وطول نظر اذا جاء المفعول الثاني بهيئة الجار والمجرور فأما مثال المتعلق بالجار والمجرور فيظهر في قوله تعالى (يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)^(٢٩) فجملة (يجعلون اصابعهم في آذانهم) جاءت غامضة وذلك ان الاصابع لا تساوي الظرف (في آذانهم). وهنا يقع المتلمس لمعنى(جعل) في حيرة فمن جعل في آذانهم طرفا فإنه لا بد ان يلتمس له فعلا يعلقه به فلم يجد الى الفعل (جعل) فيكون الجار والمجرور من متممات (يجعلون) وبهذا يصبح الفعل(جعل) متعديا الى مفعول واحد فيوهم بأنه اقرب الى الفعل(يدخلون او يضعون) حتى يلتبس لمعنى عند بعض المفسرين فلم يفرق بين الجعل والادخال فإن الالوسي: (في ذكر الجعل موضع الادخال فإن جعل شيء في شيء اولى على احاطة الثاني بالأول^(٣٠))

والملاحظ أن الإحاطة يحددها معنى (في) الظرفية ولا فرق بهذا التحديد بين (جعل في) أو (وضع في) أو (أدخل في) وهنا ينغلق باب التحليل اللغوي لأنه لا يوصل إلى المعنى المقصود وينفتح باب الحدس والتذوق الذي يبرع فيه ابو السعود في تفسيره للآية الكريمة : ((ويثاثر الجعل المنبئ على دوام الملاسة واستمرار الاستقرار على الإدخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج إلى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان))^(٣١) ، ويقوي هذا المعنى الدلالة الصوتية لتكرار العين في (يجعلون اصابعهم في آذانهم) وهي صوت مجهور له وقع عال على حاسة السمع يكسبه إسماعا عاليا يقويه صوت الباء الانفجاري وهذا يوحي بصوت القعقة والتكسر وهذا هو المعنى المقصود الذي يصور تشبيه الأصابع شكلا وحجما لتأخذ طريقها عبر الزمان حتى تستقر في جوف الأذن لتؤلف صورة

١- سورة النبأ: ٦.

تفسير الميزان : الطباطبائي ، ٢٠ / ٢٨٤٠

٣- سورة البقرة: ١٩.

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ابو الفضل محمود الالوسي ،(ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة) ١٧٥/١-١٧٦.

١- ينظر : ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماد الحنفي (ت: ٩٨٢ هـ) ، (ط ٢ ، دار احياء التراث ، بيروت) ١ / ٧٤ - ٧٦.

تخليية تعبر عن حقيقة نفسية بأسلوب بليغ يوحي بمعان كثيرة منها : شدة الخوف ، والقلق فضلا عن السخرية بمن فعل هذا الفعل ليتجنب به مكروها ما ؛ لأنه غير مجد وذلك عند النظر إلى خاتمة الآية (والله محيط بالكافرين) ، ويبدو لي أن آيات الجعل في سورة النبأ لم تكن بهذه الدرجة من الغموض بالنظر إلى أخواتها من باقي السور وذلك لأن المقام في سورة النبأ لا يحتمل درجة من الإيهام والغموض ليثير الدهشة والتصور الخيالي لبناء الصورة التي ساقها المعنى في قالب من الألفاظ وذلك لأن المولى كان في صدد سياق أدلة تبرهن على قدرته وحكمته فكان لزاما أن يسوق هذه الآيات التي تحتوي على مادة (جعل) بدرجة عالية من الوضوح لتكون حجة كبرى ودامغة بدورها على المتكلم والسامع لأنها جاءت لتكون النبأ على من كان قادرا على جعل الأرض مهادا والجبال أوتادا .. كان قادرا على البعث والنشور وخبر كهذا يحتاج إلى بسط وتمام الانجلاء فكان من المناسب أن تأتي هذه الآيات الشريفة المسوقة دلالة على قدرته جل جلاله بمعان محسوسة تامة وبوضوح عال لا يحتمل التحليل والتأويل وهذا دليل على قدسية القرآن وأنه صادر من حكيم أعرف بمقامات التخاطب وما يناسبها من حال فيوقع الخطاب طبقا لذلك هذا من جهة ومن أخرى يؤصل إلى حقيقة غاية في الأهمية وهي أن من يريد إثبات حقيقة لا بد له أن يطرح لها أدلة تكون واضحة لا تحتمل التأويل لترفع الظن المحتمل عليها وتكشف النقاب لتبين جمال الحقيقة دون الغموض (٣٢).

المطلب الثالث : تفسير آيات الجعل في سورة النبأ:

تشتمل سورة النبأ على الآيات الصريحة للجعل وهي خمس آيات ، وبتقدير الفعل (جعل) يضم إليها واحدة فيكون العدد ست آيات بالجملة ونحن في صدد تفسيرهن بشكل متسلسل لكشف معانيها وإيضاح ما هو غامض من معناها القريب والبعيد على حد سواء . وقبل ذلك ينبغي التوقف على التساؤل في أول آية من سورة النبأ لأن جميع آيات الجعل مبتنية عليه كما أنه لا يمكن أن ينكشف المعنى تمام الانكشاف ما لم يراعى السابق واللاحق فلأجل ذلك سيشرح البحث في تفسير الآية الأولى ثم يتطرق إلى آيات الجعل وكالاتي :

- عمّ يتساءلون : أصل (عمّ) على أنه حرف جر (عن) و(ما) الاستفهامية، والاستفهام هنا تفخيم الشأن كأنه قال : (عن أي شيء يتساءلون) ،

والفعل **يتساءلون** : معناه يتساءلون فيما بينهم من البعث ويتساءلون عن طريق الاستهزاء (والنبأ العظيم إنما هو بيان للشأن المفخم) وعن ابن كثير أنه قرأ (عمّه) والهاء الضمير للكافرين والمسلمين جميعا كانوا يسألون عنه أما المسلم ليزداد خشية واستعدادا وأما الكافرين ليزداد استهزاء (٣٣) .

٢- ألم نجعل الأرض مهادا: هذه الآية بلحاظ ما سبقتها تكون جوابا وذلك لما انكروا البعث قيل لهم ألم يخلف من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدال على كمال القدرة أو قيل لهم ألم يفعل الله هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد إلى انه عابث في كل فعل(٣٤) ، والمحصلة ان هذه الآيات تجيب على اسئلة منكري المعاد والمختلفين في هذا (النبأ العظيم) لأنها تستعرض جوانب معينة عن نظام الكون وعالم الوجود وذلك من جهة دليل قدرة الباري عزوجل المطلقة ومنها قدرته على اعادة الحياة إلى الانسان بعد موته(٣٥) ، وقد ذكر السيد الطباطبائي في تفسيره ما نصه(الاستفهام للإنكار والمهاد للوطاء والقرار الذي يتصرف فيه ويطلق على البساط الذي يجلس عليه وبمعنى قد جعلنا الأرض قرار لكم تستقرون عليها وتتصرفون فيها)(٣٦).

ينظر : الكشاف : الزمخشري, ٢٠٨/٢، روح المعاني : محمود الألوسي , ١٧٥/١-١٧٦. ٣٢.

١- ينظر: الكشاف : الزمخشري: ٢٥/٢٠٧.

٢- ينظر: الكشاف : الزمخشري, ٢٠٨/٢.

٣- ينظر: الامثل: ناصر مكارم الشيرازي, ٣٢٦/١٩.

٤- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي , (ط١, دار احياء التراث العربي, بيروت) ٢٠/١٣٩.

٣- مهادا: فراشا, وقرأ مهدا: ومعناه انها كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه او لمعنى ذات مهدي اي ارسيناه بالجمال كما يرسى البيت بالأوتاد(٣٧). او مهدا للبشر فمن يقدر على الابتداء يقدر على الاعادة(٣٨).

٤- وجعلنا نومكم سباتا : لما جعل النوم موتا لان المسبوت الميت من السبوت وهو القط لأنه مقطوع من الحركة جعل اليقظة معاشا او قاطعا للعمل لأجل الراحة القوى الحيوانية البدنية لما اعترها من اليقظة والتعب ومن الكلال بواسطة تصرفات النفس فيها (٣٩)

٥- وجعلنا الليل لباسا: أرأيت لو كانت الارض بمن فيها وما فيها تتعرض لأشعة الشمس باستمرار أفلم تكن تؤثر الاشعة فيها وتجهدها؟ هكذا نظم الله الارض بحيث يتناوب عليها الليل والنهار لضمان استمرار الحياة فيها ، والتعبير بـ(لباس) بالغ في الروعة والدقة ، او ليس اللباس يستتر الشيء عما يشينه ويضره كذلك ظلام الليل يستتر الطبيعة والاحياء عن استمرار تعرضها للأشعة وبعد ان تسترخي الطبيعة فوق فراش الظلام يستنهضها النهار لمسيرة متجددة, فههي خيوط اشعة الشمس توقظ الروابي والسهول وتبعث في النبات والاحياء النشاط والحيوية لتجديد نفسها وتواصل حركتها(٤٠).

٦- وجعلنا النهار معاشا : أي ميعاد للعيش ووقتا مناسباً للاستزاق وهكذا جعل الله في كل حي حاجة الى النمو والاستمرار وادع فيه احساساً لهذه الحاجة لكي يسعى اليها ووفر له فرص تحقيقها . افلا يهدينا ذلك الى انه المدبر العليم وانه قادر على نشرهم الى يوم الفصل ومحاسبتهم ؟ وهكذا جعل الله الارض دار مهياة لحياتنا وبنى فوقها سقفا محفوظا لكي لا تتساقط علينا النيازك والاحجار السابحة في الفضاء ولا ينزل علينا ما يضرنا من اشعة النجوم الضارة ومن حرارة الشمس المهلكة .

٧- وجعلنا سراجا وهاجا : يبدو ان المراد من الوهج هو الاشعة حسب الراغب في مفرداته (٤١). افلا نهدي الى اسماء ربنا الحسنى من خلال آياته التي ذكرنا بها القرآن فإذا لم نتعرف على قدرة ربنا ورحمته وعلمه وتدبيره من خلال آية الشمس فيماذا نهدي؟ (لقد سخر الله الشمس لحياة البشر , واشعل هذه الكرة الملتهبة في الفضاء .ان درجة حرارة الشمس تناهز ستة الاف فهرنهايت. هذا عن سطحها , اما العمق فإن درجة حرارتها تبلغ الملايين, وهكذا تنفذ هذه الكرة اللاهبة اشعة قد تمتد اكثر من الف كيلو متر وذلك بسبب التفاعلات الذرية التي تلتهم من جرمها في كل ثانية زهاء اربعة ملايين طن)(٤٢) ، وقد جعل الله بين الشمس والارض هذه المسافة المحدودة لكي تستفيد منها الارض دون ان تضر بها, ولو كانت المسافة ابعد لتجمدت او قرب لاحتقرت .

١- ينظر: الكشاف: الزمخشري , ٤ / ٢٠٩-٢١٠.

٢- ينظر : تبيين القرآن : محمد الحسيني الشيرازي,(مؤسسة المجتبى) ٣/٣٥١.

٣- ينظر: الكشاف: الزمخشري, ٤/٢٠٩-٢١٠, الميزان: ٢٠/١٣٤.

ينظر: الكشاف: الزمخشري , ٤/٢١٠/٤٠

١- المفردات: الراغب الاصفهاني , ١/٢٢٢.

٢- من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي,(ط٢, دار القارئ , ١٤٢٩هـ) ١١/٤٥٣-٤٥٤.

الخاتمة

قد توصل البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها بما يأتي

- ١- سورة النبأ سورة مكية وذلك لان الخصائص والمميزات التي جعلت في اوصاف السورة المكية تنطبق عليها كما يؤيد ذلك أسباب نزولها.
- ٢- التفسير يكشف المعنى المراد تسليط النظر عليه ويوضحه توضيحاً يفرزه عن غيره لبيان القصد .
- ٣- سورة النبأ تبشر من قرأها ولازم عليها أن سيكون مروره للجنة سريعاً , ولا يحاسب على اعماله المستحق بها النار فما اعزمها إذ أن لها شفاعة خاصة فلا نستبعده وكل القرآن شفيح .
- ٤- الجعل عند اهل اللغة له معان متعددة بحسب دخولها على السياق تتضح الصورة النهائية للفعل (جعل) نظراً لما يحمل من معان عديدة كالخلق, والانشاء, والتصيير, والتعيين, وبمعنى (وضع), وبمعنى (صنع).
- ٥- الجعل عند المفسرين في سورة النبأ بمعنى الخلق والانشاء تارة, والتعيين والتصيير اخرى.
- ٦- وجدت الدراسة ان سياق الآي المستخدمة لها الفعل جعل جاءت برهانية استدلالية على القدرة الالهية لذلك شملت معنى الخلق والانشاء .
- ٧- الدلالة النحوية تصر على أن الفعل (جعل) قد حولت المبتدأ والخبر إلى مفعولين ليتم معنى ينغرس مع قدم الخلق بانغراس خلق الحياة في الخلق.
- ٨- الدلالة البلاغية تكشف عن الآيات التي جاء سياقها برهانياً ولأجل ذلك جاءت ببيان واضح خال من التركيب الداعي الى التحليل والتأويل .
- ٩- الاستدلال بهذه الآيات على قدرة الله على البعث والنشور فمثلاً كان قادراً على الخلق والايجاد من عدم قادر على البعث والنشور .
- ١٠- يرى البحث أن هذه الآيات إنما توصل إلى حقيقة غاية في الأهمية وهي حين الاستدلال لا بد أن تسوق البراهين بشكل مفهوم من المتكلم إلى المخاطب خال من التعقيدات والتراكيب وذلك اسراعاً في تبليغ الحجة وقهر الخصم بالإدعان والتسليم لأجل ذلك كانت الآيات في سورة النبأ يستكشف منها ذلك .

١١ - المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- التبيين في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) ، (ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ١٤٠٩ هـ) .
- ٢- مجمع البيان في تفسير القرآن : أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) ، (ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت : ١٤١٥ هـ)
- ٣- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، (مؤسسة التراث الاسلامي, قم).
- ٤- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال : الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، (ت ٣٨١ هـ) ، (ط٢، منشورات الرضي، قم ١٣٦٨ هـ).
- ٥- البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم البحراني (مؤسسة الاعلمي، بيروت/١٤٢٧ هـ)
- ٦- نظرية المعنى في النقد العربي : دكتور مصطفى ناصف ، (دار الاندلس، بيروت) .
- ٧- دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ١٨٠ هـ)، (مكتبة الخانجي، مطبعة المدني)
- ٨- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، (دار احياء الكتب الدينية ، القاهرة ١٩٥٧ م) .
- ٩- المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) ، (مطبعة مصطفى البابي ٢ ، القاهرة : ١٩١١ م) .
- ١٠ - العين : لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، (ط ٢ / دار الهجرة ، ايران : ١٤٠٩ هـ) / ١ ، ٢٩٩
- ١١ - مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، (مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، قم : ١٤٠٤ هـ) .
- ١٢- لسان العرب : جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ، (نشر أدب الحوزة : قم : ١٤٠٥ هـ) .
- ١٣- نظرية المعنى في النقد العربي: د. مصطفى ناصف، (دار الاندلس، بيروت)
- ١٤- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ١٨٠ هـ)، (مكتبة الخانجي، مطبعة المدني).
- ١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ابو الفضل محمود الألوسي ، (ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة).
- ١٦- ارشاد العقل السليم إلى الكتاب الكريم : أبو السعود ، (ط ٢ ، دار احياء التراث ، بيروت) ١٧ - الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، (ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت)
- ١٨ - تبيين القرآن : محمد الحسيني الشيرازي، (مؤسسة المجتبي)
- ١٩ - من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي، (ط٢، دار القارئ ، ١٤٢٩ هـ).

٢٠- تفسير القمي : علي بن ابراهيم القمي (ت: ٣٢٩هـ) ، (ط٣ ، دار الكتاب ، قم : ١٤٠٤هـ).